تـوجيهاتُ المُفَسِّرِينَ

لِدَلالَةِ الأَمْرِ فِي القُرآنِ الكَرِيمِ

الأستاذ الدكتور
مجيد طارش الربيعي
جامعة واسط ـ كلية التربية

توجيهاتُ المُفَسِّرِينَ لِدَلالَةِ الأمْرِ فِي القُرآنِ الكَرِيمِ

الأستاذ الدكتور
مجيد طارش الربيعي
جامعة واسط ـ كلية التربية

المقدّمة:

الحمد لله ربّ العالمين، وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم على خير الخلق أجمعين محمدٍ وآله الطيّبين الطاهرين، والرحمة والرضوان على أصحابهم المنتجبين وأنصارهم المخلصين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين.

لقد صار تفسير القرآن الكريم محطّ عناية المسلمين ومحلّ رعايتهم لأنّ فيه طريق الهداية لهم، وقد وجّه المفسّرون عنايتهم نحو اللفظ ومعناه الذي يكتسبه في النظم القرآنيّ، وقد جذبتهم فنون التعبير في القرآن؛ فراح عددٌ منهم يُوظّف تفكيره في تفسير القرآن الكريم بيانيّاً للوقوف على ما فيه من أفانين جمالية وأسرارٍ بلاغيّة؛ ليفهموا آياته من أسلوبه ليُبرهنوا على إعجازه، فبعلم البلاغة ومعرفة الفصاحة يُعرف إعجاز كتاب الله الناطق بالحقّ الهادي إلى سبيل الرشاد[1]، وقد اعتمد المفسّرون على علوم البلاغة التي كانت أحدى الوسائل في كشف أسرار الإعجاز وتبيان ما في الآيات من روعةٍ وجمال، وتُعرَف اللغة العربيّة بأنّها واحدةٌ من أكثر اللغات تفنّناً في الأساليب وأكثرها قدرةً على التنوّع في التعبيرات، وقد اشتهرت في العربيّة أساليبٌ من الكلام كثيرةٌ، وواحدٌ من هذه الأساليب هو أسلوب الأمر، وبما أنّ للبلاغة العربيّة أثراً لا يخفى في توجيه دلالات النصوص القرآنيّة التي تترتّب عليها الكثير من الأمور الشرعيّة والعقليّة والنفسيّة، اخترت هذا الموضوع من مباحث البلاغة العربيّة في القرآن الكريم، وهذا المبحث هو (الأمر) لما فيه من التنوّعات والاختلافات في توجيهاته البلاغيّة التي يُدلّ بها على معانٍ متنوّعةٍ تستحقّ الوقوف عندها

دراسةً وتحليلاً.

والأمر هو أحد أنواع الكلام الذي لا يدخله الصدق ولا الكذب(٢)، وعرّفوه بأنّه: (صيغةٌ تستدعي الفعل، أو قولٌ يُنبئ عن استدعاء الفعل من جهة الغير على جهة الاستعلاء)(٣)، والأظهر أنّ صيغته موضوعةٌ لطلب الفعل استعلاءً لتبادر الذهن عند سماعها إلى ذلك، وتوقّف ما سواه على القرينة، وقد تُستعمل صيغة الأمر في غير طلب الفعل بحسب مناسبة المقام(٤)، ويرى أغلب المفسّرين أنّ الأمر للوجوب في الأصل إلا أن يدلّ دليلٌ على خلاف الوجوب(٥).

والبحث في الأمر هنا ليس الغرض منه استقصاء المعاني المجازيّة التي خرج إليها أسلوب الأمر، بل هو محاولةٌ للغوص في هذه المعاني للوقوف على التوجيهات المختلفة التي وُجّه إليها فعل الأمر في القرآن الكريم، فالمعنى إنّما هو القائد والدليل الموجّه لنوع التوجيه الذي تبحث عنه هذه الدراسة وتحاول إثباته، وقد اخترت الأمر بمفهومه الدلاليّ لا بمفهومه البلاغيّ، فقد اقتصرت على أسلوب الأمر الوارد بفعل الأمر، لأنّ هذا الأسلوب إنّما أصله بفعل الأمر وما عداه فرعٌ عنه؛ فضلاً عن أنّ الأمر بفعل الأمر هو الأمر، أمّا الأمر بغير فعل الأمر إنّما يؤول على الأمر!

وفي هذا البحث محاولةٌ لقراءةٍ جديدةٍ في التفكير الدلاليّ عند المفسّرين وتوجيهاتهم الدلاليّة، ومن أهم المسائل التي يُريد هذا البحث الوقوف عليها: التمييز بين: المعنى، والدلالة، والتوجيه، فالمعنى هو الذي يُؤخذ من المعجم الذي سجّله لنا من الاستعمال الشائع للفظ، أمّا الدلالة فهي إيصال المعنى الذي يكتسبه اللفظ في التركيب، ولـمّا كان المعنى واضحاً ومفهوماً عند أغلب الدارسين، وكانت الدلالة محطّ عناية الباحثين، وكان التوجيه غائباً عن ميدان الدراسة والبحث، والتوجيه هو الأمر المهمّ؛ لأنّه الفلك الأكبر الذي يدور فيه المعنى بفعل الدلالة، والتوجيه إنّما هو المقصود الذي جيء بهذا اللفظ بهذه

الدلالة من أجله، وهو الذي يجتهد مفسّر النصّ في الوصول إليه والتعرف عليه عند تحليله لهذا النص دلاليّاً، وبه يتفاوت المفسّرون ويتفاضلون في القدرة على الكشف عنه، وسأحاول في هذا البحث الربط بين آراء المفسّرين في دلالات فعل الأمر في محاولة للكشف عن التوجيهات الدلاليّة التي يُشيرون إليها في محاولةٍ لطرح أسلوبٍ جديدٍ في دراسة الأساليب البلاغيّة دلاليّاً ليكون هذا الموضوع مشروع بحثٍ أكبر.

ولأنّ مثل هذه البحوث إنّما هي توجيهيّةٌ للمسائل المهمّة لا استقصائيّةٌ، سأكتفي بنماذج من الآيات القرآنيّة المباركة للتمثيل للتوجيه والتدليل عليه، ولّما كانت التوجيهات الدلاليّة كثيرةً وفروعها متنوعةً اقتصرت على ذكر البارز منها والواضح الذي يناسب المقام ويتّضح به المطلب، ولّما كان عدد المفسّرين كبيراً يتعذّر معه جمع كلّ ما قالوه في الآيات القرآنيّة التي فيها أسلوب الأمر؛ اكتفيت بخمسةٍ من هؤلاء المفسّرين الذين وجدت عندهم الأصالة في التفسير والتنوع في التأويل والدقّة في التوجيه لدلالات ألفاظ القرآن الحكيم، وأعتقد أنّهم أساطين التفسير وأساتذة المفسّرين عند جميع المسلمين، وهؤلاء المفسّرون هم: الزمخشريّ، والطبرسيّ، والقرطبيّ، والرازيّ، والطباطبائيّ.

المبحث الأوّل

التوجيهات الشرعيّة

أوّلاً: الإباحة:

القصد بالإباحة هو أنّ الفعل الدالّ على الأمر يدلّ على أمرٍ يكون فيه موقف المأمور به في التساوي بين القيام بالفعل وتركه، وقد ورد هذا المعنى مدلولاً عليه بفعل الأمر الوارد في القرآن الكريم في عدد من الآيات الكريمات، وقد تنبّه المفسّرون إلى دلالات هذه الأفعال على هذا المعنى، وبالتدقيق في تفسيراتهم للآيات وإنعام النظر في أقوالهم تنكشف توجيهات لطيفة وتخريجات دقيقة لهذا

المعنى الوارد في القرآن الكريم، وقد برزت أربعة أنواع من الإباحة في تفسير النصوص التي تناولتها، وهذه الأنواع هي:

أ. **الإباحة بعد التحريم:** وقد ورد فيه فعل الأمر لإباحة ما كان محظوراً قبل الأمر به، وهذا ما نجده في قوله تعالى: ﴿فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾(٦)، والفعل المقصود هنا هو (بَاشِرُوهُنَّ) وقد أمر به الله تعالى بعد منعه، وهو (أمرٌ واقعٌ بعد الحظر، فيدلّ على الجواز)(٧)، أي: يجوز لكم الآن ما كان ممنوعاً عليكم وهو الجماع، فإن في قوله تعالى: ﴿فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ﴾ كنايةٌ عن الجماع، أي قد حصل لكم ما أُحرِم عليكم، وسمّى الوقاع مباشرةً لتلاصق البشرتين فيه)(٨)، وهذا الوقاع قد كان ممنوعاً عليهم وكان يعدّ خيانةً، وهو ما دلّ عليه هذا الفعل بالأمر به؛ فإنّ ﴿بَاشِرُوهُنَّ﴾ (متعلقةٌ بالخيانة وهي مساعدةٌ في تفسير الخيانة بالجماع)(٩).

ومن هذا النوع من الإباحة أيضاً قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾(١٠)، فإنّ المعنى المراد من الفعلين ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ هنا هو (وابتغوا ما كتب الله لكم من الإباحة بعد الحظر)(١١)، وقد علّل الرازيّ هذه الإباحة وأوضحها بقوله: (أمّا قوله: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ فالفائدة في ذكرهما أنّ تحريمهما وتحريم الجماع بالليل بعد النوم لمّا تقدّم احتيج في إباحة كلٍّ واحد منهما إلى دليلٍ خاصٍّ يزول به التحريم، فلو اقتصر تعالى على قوله: ﴿فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ﴾ لم يعلم بذلك زوال تحريم الأكل والشرب، فقرن إلى ذلك قوله ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ لتتمّ الدلالة على الإباحة)(١٢)، وهذا توجيهٌ يُضاف إلى ما سبق من التوجيه لهذين الأمرين وهو أنّهما اختُصّا بهذه الإباحة التي كانت محظورةً مع (المباشرة) السابقة، فأُفردت هذه الإباحة بالذكر بجواز الأكل والشرب لئلا يُتوهّم أنّ المسموح به هو

المباشرة فقط.

ب. **الإباحة المشروطة:** وهي الإباحة التي لا تكون إلا بشرط ينبغي توافره حتّى تكون هي جائزةً؛ فكأنّها مقرونةٌ بهذا الشرط ومتعلّقةٌ به فلا تكون هي حتّى يكون هو، وهذه الإباحة وردت في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾[١٣]، وهذا الاشتراط اللازم للإباحة قد عبّر عنه الزمخشريّ بقوله: (فاصطادوا: إباحةٌ للاصطياد بعد حظره عليهم، كأنّه قيل: وإذا حللتم فلا جناح عليكم أن تصطادوا)[١٤]، وقد فسّر الرازيّ هذه العلاقة بقوله: (هذه الآية متعلّقةٌ بقوله: ﴿غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾[١٥] يعني: لّما كان المانع من حلّ الاصطياد هو الإحرام، فإذا زال الإحرام وجب أن يزول المنع... ظاهر الأمر وإن كان للوجوب إلا أنّه لا يُفيد ههنا إلا الإباحة)[١٦].

ج. **الإباحة المحدّدة:** وهي صنو الإباحة المشروطة لكنّ الإباحة هنا مقيّدةٌ أو محدّدةٌ بمحدِّدٍ، وهذا المحدِّد يُحدّدها بنوعٍ معيّنٍ لا تصدق الإباحة إلا عليه، وهذا ما جاء في قوله تعالى: ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾[١٧]، ففعل الأمر هنا هو (كُلُوا)، وهو دالٌّ على الإباحة كما صرّح بذلك الطباطبائيّ الذي يرى أنّه (إباحةٌ في صورة الأمر)[١٨]، وقد أيّد الرازيّ هذا التوجيه بقوله: (قوله: (كُلُوا) ليس أمر إيجابٍ، بل أمر إباحةٍ)[١٩]، أمّا التحديد لهذه الإباحة فقد صرّح به القرطبيّ ووجّه هذه الدلالة هذه الوجهة الشرعيّة بتفسيره هذا القيد وهو ﴿مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ فهو يقول عنه: (أي: من لذيذ الرزق، وقيل: من حلاله، إذ لا صنع فيه لآدميّ فتدخله شبهة)[٢٠]، ونستدلّ من هذا التفسير للطيبات المحدّدة (بأنّها ممّا رزقه الله تعالى) أنّ دلالة فعل الأمر لا تتّضح ولا يمكن

توجيهها إلا بتعليقها وربطها بما يُحيط بها من دلالات للألفاظ المتعلّقة بها، وهنا كان فعل الأمر (كُلُوا) متعلّقاً بحدّه ﴿مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ لتكون دلالته الموجّهة هنا هي الإباحة المحدّدة.

ثانياً: الاستحباب.

وهو من المعاني التي تُفيد ترجيح عمل المأمور به على تركه، ولكن بدون إلزامٍ، وهو نوع من أنواع التحضيض والحثّ على عمل ما فيه نفعٌ للناس، لأنّ الله تعالى يُثيب على العمل به ولا يُعاقب على تركه، وهو واحدٌ من المعاني التي وجّه المفسّرون دلالة الأمر في القرآن الكريم إليها، ومن هؤلاء المفسرين نجد كلا من الطبرسيّ والطباطبائيّ قد وجّه دلالة فعل الأمر في القرآن الكريم نحو هذه الوجهة الشرعيّة، فقد وجدنا عند الطبرسيّ توجيهاً شرعيّاً لفعل الأمر في قوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوْاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾[٢١]، فالطبرسيّ يرى أنّ معناه (أشهدوا الشهود على غيركم إذا تبايعتم، وهذا أمرٌ على الاستحباب والندب)[٢٢]، وكذلك وجدنا عند الطباطبائيّ هذا التوجيه لفعل الأمر أيضاً في قوله تعالى: ﴿فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾[٢٣]، فالطباطبائيّ يرى أنّ القرآن قد (سهّل الأمر بالتخفيف ليكون لعامّة المكلّفين فيه نصيبٌ، والحكم استحبابيٌّ لسائر المؤمنين، وإن كان ظاهر ما للنبيّ من الخطاب الوجوب)[٢٤]، ولعلّ هذا التوجيه من الطباطبائيّ المتفرّع لدلالة فعل الأمر بالاستحباب مرّةً، وبالأمر الشرعيّ مرّةً أخرى يدلّ على دقّة هذا المفسّر في التعامل مع النصّ القرآنيّ؛ ولاسيّما في توجيه دلالته، وهو هنا يُوجّه الدلالة تبعاً للمخاطَب، فقد جعل المخاطَب بهذا الفعل هو الموجِّه لدلالته، فإن كان المخاطَب هو عامّة المكلفين فإنّ الفعل هنا يدلّ على الأمر، لكنّ هذه الدلالة تُوجّه وجهةً شرعيّةً أخرى، ويكون الحكم المستدلّ عليه بفعل الأمر هذا هو الاستحباب، وإن كان المخاطب هو النبيّ الأكرم ﷺ فإنّ الدلالة المستفادة من فعل الأمر ستكون هي الأمر لخصوصيّة النبيّ ﷺ في التعامل مع القرآن.

ثالثاً: الأمر.

وهو المعنى الأساسيّ الذي يأتي فعل الأمر من أجله، ولا معنى للأمر إلا بفعل الأمر، وما نقصده هنا من الأمر هو الأمر الشرعيّ الذي يعني أنّ الله تعالى يُوجّه الخطاب بفعل الأمر ويُريد من المخاطَب أن يأتمر بهذا الأمر ويقوم به ويفعله، وإن لم يفعل فإنّ الله سيُعاقبه، وهذا النوع من المعاني له شواهد كثيرةٌ في القرآن الكريم، وهو من أوضح الدلالات التي جاء فعل الأمر بها، وقد تنبّه المفسّرون إلى هذه الدلالة ووجهوها هذه الوجهة الفقهيّة، ومن أمثلة هذا النوع من التوجيهات: قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(٢٥)، فقد ورد الأمر في هذا النصّ المبارَك بالفعل (قَاتِلُوا) الذي قال فيه القرطبيّ: إنّ هذا خطابٌ لأمّة محمّد ﷺ بالقتال في سبيل الله، وفسّره بأنّه أمرٌ من الله تعالى للمؤمنين ألا تهربوا(٢٦)، وهذا التوجيه الدلاليّ لدلالة فعل الأمر (قَاتِلُوا) نحو الأمر كأنّما هو تمهيدٌ من القرطبيّ للفخر الرازيّ ليُوضّح هذا المعنى أكثر عندما ذكر في تفسيره قولين: الأوّل أنّ هذا خطابٌ للذين أُحيوا، أحياهم ثمّ أمرهم بأن يذهبوا إلى الجهاد لأنّه تعالى إنّما أماتهم بسبب أن كرهوا الجهاد، والقول الثاني أنّ هذا استئناف خطابٍ للحاضرين يتضمّن الأمر بالجهاد إلا أنّه سبحانه بلطفه ورحمته قدّم على الأمر بالقتال ذكر الذين خرجوا من ديارهم لئلا ينكص عن أمر الله بحبّ الحياة بسبب خوف الموت، وليعلم كلّ أحدٍ أنّه بترك القتال لا يثق بالسلامة من الموت(٢٧)، وهذا الأمر بالقتال يُراد منه التدليل على الثبات والتحذير من الهرب، فمعنى الفعل ﴿وَقَاتِلُواْ﴾: (لا تفرّوا أيّها المؤمنون كما فرّ بنو إسرائيل وقاتِلوا أعداءكم)(٢٨)، وعلى أيّ الأقوال كان تفسير هذا الفعل فإنّ دلالته هنا هي الأمر الشرعيّ الذي هو الأمر بالقتال الذي أشار إليه المفسّرون وأكّدوه بأنّه يتضمّن الدلالة على النهي عن الفرار الذي هو توكيدٌ لمعنى الأمر بالقتال، وهذا يعني أنّ هذا الفعل دالٌّ على أمرٍ شرعيٍّ يجب أن يمتثل له المخاطَب به من المكلّفين (سواءً أكانوا هم الأحياء منهم أم الأموات بعد الإحياء) فإنّهم

سيُعاقَبون على تركه بدليل تفسيره بأنّه يتضمّن منعهم ونهيهم عن الفرار الذي هو مخالفة هذا الأمر، والفرار إنّما سيتسبّب بالعقاب، ولمّا كان المأمور بالقتال هنا هو الناس فإنّ هؤلاء الناس كان لهم الخيرة من أمرهم بالامتثال لهذا الأمر أو تركه، أي أنّهم سيقاتلون أو يمتنعون عن القتال بإرادتهم في كلتا الحالتين لا بإرادة الله وجبره لهم، فهم مفوّضون في هذه الحالة، لكنّ الثواب مضمونٌ والعقاب معدٌّ، وهذا هو السرّ في ترك الإرادة للمكلّف باختيار أيّ الطريقين: الطاعة أم العصيان، ليحقّ عليه العقاب في حالة الترك، ويستحقّ الثواب في حالة الامتثال، بمعنى أنّ الله تعالى أمرهم بالقتال وأراده منهم، لكنّه جلّ شأنه لم يجبرهم عليه بأن يجعلهم يقاتلون بإرادته لا بإرادتهم، بل جعلهم يقاتلون بإرادتهم لا بإرادته.

المبحث الثاني

التوجيهات العقليّة

أوّلاً: الاستدلال.

وهو من الدلالات التي كان لفعل الأمر في القرآن الكريم الإسهام الواضح في التوجيه إليها، وقد كان فعل الأمر يرد غالباً في سياق الخطاب الموجّه من المولى جلّ وعلا إلى العباد؛ والغرض من هذا الخطاب تنبيههم إلى ما ينبغي لهم أن يتوجّهوا إليه من الدلالات التي تدل على القدرة الإلهيّة وتُوصل إلى معرفة الله تعالى، ومن أهم أنواع هذه الدلالة:

أ. **التنبيه على علم الله:** وهو المرحلة الأولى من مراحل التوجيه إلى التفكّر والاستدلال، فالباري جلّ وعلا لم يترك عباده بلا توجيهٍ لهم إلى ما ينبغي لهم من التفكير والتفكّر والنظر والتأمل للاستدلال والاستبصار، وأوّل العباد الذين كان لهم هذا التوجيه هم الملائكة المقرّبين الذين استفهموا متعجّبين من خلق الإنسان واستخلافه في الأرض من دونهم وهم الذين

يقدسونه جلّ وعلا ويُسبّحون بحمده، والإنسان هو الذي يسفك الدماء! فجاءهم الجواب من الله تعالى داعياً إيّاهم إلى التفكّر بأسلوب الأمر بفعل الأمر الذي تتوجّه دلالته إلى التنبيه، وهذا الجواب هو قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَـؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[٢٩]، فالطبرسي يعتقد أن في مخاطبة الله سبحانه وتعالى الملائكة وتعليمهم، ثمّ طلبه إخبارهم إيّاه الأسماء تنبيهاً لهم، إذ يرى أنّ (لفظة الأمر معناها التنبيه)[٣٠] هنا، ويبدو أنّ الطبرسيّ يُريد من التنبيه هنا التنبيه على أنّهم على غير الصواب باعتراضهم على الله تعالى، وأنّهم لا يعلمون ما يعلمه الله تعالى، ولذلك أراد الباري جلّ وعلا أن يُنبّههم فأمرهم أن يُنبئوه بأسماء هؤلاء الذين عرضهم عليهم ليُثبتوا علمهم، فالفعل (أنبِئُونِي) معناه هنا: أخبروني، وليس هذا على جهة التكليف وإنّما هو على جهة التقرير والتوقيف[٣١]؛ وهذا الفعل بهذا التوجيه لدلالته يمثل الدعوة لهم إلى التفكير والتفكّر للوصول إلى الحكمة من خلق الإنسان واستخلافه في الأرض دون الملائكة، فإنّهم لّما عجزوا عن إجابة هذا الطلب صار الأمر لهم تعجيزاً لهم ليتنبّهوا إلى أنّهم لا يعلمون ما يعلمه الله تعالى، قال الرازي: (من الناس من تمّسك بقوله تعالى: ﴿أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَـؤُلاء﴾ على جواز تكليف ما لا يطاق وهو ضعيفٌ لأنّه تعالى إنّما استنبأهم مع علمه تعالى بعجزهم على سبيل التبكيت، ويدلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾)[٣٢]، أي للتدليل على جهلهم بطريق التنبيه لهم بفعل الأمر (أنبِئُونِي) الذي أعجزهم عن التدليل على وجاهة سؤالهم وصحة استغرابهم، وهذا ما تنبه إليه الباحثون في البلاغة القرآنيّة، فقد قال محيي الدين الدرويش: (أنبِئُونِي: فعل أمرٍ، والمقصود من الأمر هنا التعجيز)[٣٣]، وما هذا التعجيز إلا ليستدلوا به على علم الله تعالى بما لا

يعلمون، ويتنبهون بهذا الأمر على هذا الاستدلال.

ب. **الاستدلال على قدرة الله:** وهو النوع الثاني من أنواع الدلالة على الاستدلال، وهنا يبرز لنا التفكير والاستنتاج مطلوباً أكثر من النوع الأول، فهذا النوع يُراد به إجالة الفكر وإنعام النظر وتحكيم العقل في ما يرى الإنسان من الكون الذي حوله ليستدلّ منه على الخالق له، ومن هذه الأفعال الواردة على هذا المعنى قوله تعالى: ﴿انظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾(٣٤)، فقد وجّه المفسّرون دلالة الفعل الوارد في هذا النصّ الشريف نحو هذا التوجيه العقائديّ لمعناه وما دلّ عليه هنا في هذا النصّ القرآنيّ المبارك، فقد قال فيه الرازيّ: (قوله: ﴿انظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ﴾ أمرٌ بالنظر في حال الثمر في أوّل حدوثها، وقوله: (وَيَنْعِه) أمرٌ بالنظر في حالها عند تمامها وكمالها، وهذا هو موضع الاستدلال والحجّة التي هي تمام المقصود من هذه الآية... ولّما بطل إسناد حدوث هذه الحوادث إلى الطبائع والأنجم والأفلاك وجب إسنادها إلى القادر المختار الحكيم الرحيم المدبّر لهذا العالم على وفق الرحمة والمصلحة والحكمة)(٣٥)، وفي هذا التوجيه الدلاليّ لهذا الفعل تظهر لنا إرادة الاستبصار للاستدلال على قدرة الخالق جلّ وعلا، وهذا التوجيه إنّما هو متوجّهٌ إلى النظر في هذا الثمر والاستدلال به على الله تعالى؛ فـ(إذا خرج ثمره كيف يُخرجه ضئيلاً ضعيفاً، لا يكاد ينفع به، وانظروا إلى حال ينعه ونضجه كيف يعود شيئاً جامعاً لمنافع وملاذ؛ نظرَ اعتبارٍ واستبصارٍ واستدلالٍ على قدرة مقدّره ومدبّره وناقله من حالٍ إلى حالٍ)(٣٦)، فهذا النظر المراد إنّما هو (نظر الاعتبار لا نظر الإبصار المجرّد عن التفكّر)(٣٧)، وهذا الأسلوب وما يتبعه يُؤكّد مفهوم الانزياح الدلاليّ واللغويّ الذي يُثبت أنّ النفس مولعةٌ بالتجديد والاستدلال(٣٨).

ج. **الاعتبار بالأمم الماضية:** وهو المعنى الذي جاء به فعل الأمر في القرآن الكريم والقصد منه أن يتوجّه المأمور به بفكره وتفكيره إلى النظر في تاريخ الأمم السالفة وأخذ الدروس منها والعبر، والاتّعاظ بما حدث لهم نتيجة كفرهم بالرسل والأنبياء، والغرض من مثل هذه الأوامر هو التوجّه نحو التفكير بالمسائل الضروريّة التي يصلون إليها عن طريق هذا الاعتبار بحال الأمم الماضية، وهو المعنى الذي تكفّل به فعل الأمر هنا، ومن أمثلة هذا النوع من الأفعال المتوجّهة إلى هذه الدلالة قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾[٣٩]، فهذا الخطاب إنّما هو لهؤلاء الكافرين، وقد أُمِر النبيّ ﷺ بتوجيهه إليهم، فالمعنى على ما ذكره القرطبيّ: (أي: قل لهم يا محمّد: سيروا في الأرض ليعتبروا بمن قبلهم، وينظروا كيف كان عاقبة من كذّب الرسل ﴿أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾ أي: كافرين، فأُهلكوا)[٤٠] بشركهم وكفرهم، فهذا الأمر إنّما يُراد به أخذ الدرس ممّن مضى والاعتبار به، وهذا ما يعتقده الطبرسيّ أيضاً؛ فهو يرى أنّ هذا الفعل (ليس بأمرٍ ولكنّه مبالغةٌ في العظة)[٤١].

ثانياً: التسوية.

وهي من المعاني النادرة التي جاء فعل الأمر في القرآن الكريم دالا عليها، ويُمكن القول هنا أنّ التسوية هي المعنى الذي يُمكن توجيه دلالة فعل الأمر إليه عندما يكون الأمر مأموراً به مع النهي عنه معاً، والحالة بينهما هي التساوي بين الطلبين سواء الإتيان بالفعل أم النهي عنه، والنتيجة واحدةٌ، فلا فرق يُذكر بين القيام بهذا الفعل امتثالاً للأمر به أم تركه امتثالاً للنهي عنه، وقد وجدنا مثالين بارزين لهذا النوع من الدلالات كانت توجيهات المفسّرين فيه هما:

أ. انعدام النفع: وهو المعنى الذي جاء فعل الأمر مقروناً بالنهي عنه دالاً عليه في قوله تعالى: ﴿اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(٤٢)، ففعل الأمر هنا هو (اصْبِرُوا) وقد جاء متساوياً هو والنهي عنه (لَا تَصْبِرُوا)، وقد جمعهم النصّ القرآنيّ وساوى بينهما في الحكم بـ(سَوَاء)، وهذا ما قرّره الرازيّ الذي قال إنّ: (سواء: خبرٌ، ومبتدؤه مدلولٌ عليه بقوله: ﴿فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا﴾، كأنه يقول: الصبر وعدمه سواء)(٤٣)، والسبب في هذا التساوي هو أنّ مصير هؤلاء إنّما هو واحدٌ لا يتبدّل، وقد تقرّر عليهم ولن يتبدّل لأنّ هذا الخطاب بالأمر والنهي عنه إنّما هو بعد أن تحدّد مصير هؤلاء وتقرّر، ولذا نجد المفسّرين قد تلمسّوا من هذا الأمر والنهي دلالاتٍ أخرى كان من أبرزها ما استشفّه الزمخشريّ الذي قال إنّ: (هذا تقريعٌ وتهكّمٌ (سَوَاء) أي: سواءٌ عليكم الأمران... علّل استواء الصبر وعدمه، لأنّ الصبر إنّما يكون له مزيّةٌ على الجزع لنفعه في العاقبة، بأن يُجازى عليه الصابر جزاء الخير، فأمّا الصبر على العذاب الذي هو الجزاء، ولا عاقبة له ولا منفعة فلا مزيّة له على الجزع)(٤٤)، وهذا التقريع والتهكّم إنّما يصدر من الله تعالى والقائم به هم الملائكة الموكّلين بنار جهنم، فقد أفادنا القرطبيّ في تفسيره لهذه الآية بأنّ ((اصْلَوْهَا) أي: تقول لهم الخزنة: ذوقوا حرّها بالدخول فيها ﴿فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي: سواء كان لكم فيها صبرٌ أو لم يكن فـ(سَوَاء) خبره محذوفٌ، أي: سواء عليهم الجزع والصبر فلا ينفعكم شيءٌ، كما أخبر عنهم أنّهم يقولون: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا﴾(٤٥))(٤٦)، وهذه الدلالة إنّما هي دلالةٌ عقليّة، وهي واحدة من المبادئ العقائديّة التي بُني عليها التعامل بين الخالق والمخلوق، فإنّ من أسس العقائد أنّ الإنسان إنّما يُجازى من الله تعالى

بما عمل، والصبر لا دخل له في هذه المجازاة الثابتة عليه فهي لا تتغيّر سواءً أصبر أم جزع.

ب. **التيئيس**: وهو المعنى الذي تتوجّه إليه الدلالة في مثل هذا النوع من ورود الأمر بالفعل والنهي عنه معاً، وهذا ما نجده متمثّلاً في الأمر بالاستغفار أو عدمه بالنهي عنه الوارد في قوله تعالى: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾(٤٧)، فالطبرسيّ يلتفت إلى نكتةٍ أخرجت فعل الأمر عن معناه الحقيقيّ، إذ يرى أنّ فعل الأمر (صيغته صيغة الأمر والمراد به المبالغة في الإياس من المغفرة)(٤٨)، فإنّ التوجيه الدلاليّ لهذا اللفظ يدلّ على وعيٍ بلاغيٍّ لدى هذا المفسّر، فالقرآن الكريم يُخاطب النبيّ ﷺ بلفظ الأمر؛ وهو لا يقصد أن يأمره بفعل شيءٍ بقدر ما يُريد أن يبيّن أنّه يُبالغ في تيئيس هؤلاء من رحمته ومغفرته، وهذا من عظيم فعل القرآن وبلاغة تعبيره التي فاقت كلّ كلامٍ وكلّ تعبيرٍ، فقد أوصل معاني عدّةٍ بطريقةٍ تعبيريّةٍ تُلفت انتباه السامع للنصّ والقارئ له إلى ما فيه من معانٍ لا يمكن الوصول إليها إلا بإعمال العقل والتعمّق في دلالات هذا النصّ العظيم الصادر من العظيم جلّ شأنه، وقد أيّد الطبرسيَّ غيرُ مفسّرٍ في هذا التوجيه لدلالة الأمر هنا، فقد أورد الرازيّ أن ظاهر قوله: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ كالدلالة على طلب القوم منه الاستغفار، وذكر أن الأقرب في تعلّق هذه الآية بما قبلها ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما أنّ الذين كانوا يلمزون هم الذين طلبوا الاستغفار فنزلت هذه الآية(٤٩)، وفي هذا المأثور من التفسير نلمح الدلالة على المواساة لمن مات عنه قريبٌ كافراً، وقد سُئل النبيّ ﷺ الصلاة عليه، فالقرآن يُريد أن يُخبر الرسول ويُخبر هذا السائل للرسول والطالب منه الاستغفار للميّت الكافر أنّ الله تعالى لن يغفر له

سواء استغفر له الرسول أم لم يستغفر، وفي هذا التوجيه نلمس الدلالة غير المباشرة على أنّ الأمر إنّما هو بيد الله تعالى لا دخل لأحدٍ فيه إلا بقدر السؤال والطلب والاستغفار، وأنّ الاستغفار والدعاء لا ينفع من مات على الكفر وعدم الإيمان، فكأنّ عدم الإيمان في الدنيا سيُقابله عدم المغفرة في الآخرة، والله أعلم.

ثالثاً: التهديد.

وهو واحدٌ من المعاني التي برز فعل الأمر في القرآن وهو يدلّ عليها، ولاسيّما عندما يصدر هذا الفعل من العزيز الجبّار(مباشرة، أو عن طريق الرسول) إلى الكفرة المتمرّدين من الناس، وقد تفاوتت هذه الدلالة بين (التهديد، والوعيد) على النحو الآتي:

أ. **التهديد:** وهو التهديد الذي يتوجّه إليه فعل الأمر الصادر من الله تعالى أو من الرسول للكافرين، ومن الأمثلة القرآنيّة التي أشار المفسّرون إلى هذا التوجيه لفعل الأمر الوارد فيها قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾(٥٠)، فالفعل (اعْمَلُواْ) هنا هو مدار الدلالة ومحور توجيهها، وقد دلّ هذا الفعل على التهديد بناءً على توجيه الطبرسيّ لدلالته فهو يرى أنّه (تهديدٌ بصيغة الأمر)(٥١)، وهو يعتقد أنّ فعل الأمر لم يكن في مقام الرضا بهذا المأمور به، ولذا لا يُمكن أن يكون الفعل على حقيقته، وإنّما المراد منه التهديد، ومثله كان قد فعل القرطبيّ عندما وجّه هذه الآية بقوله: (والمعنى: اثبتوا على ما أنتم عليه فأنا أثبت على ما أنا عليه، فإن قيل: كيف يجوز أن يؤمروا بالثبات على ما هم عليه وهم كفار، فالجواب: أنّ هذا تهديدٌ)(٥٢)، وكذا كان الطباطبائيّ في موقفه الموجّه لهذه الآية هذا التوجيه فهو يُفسّرها بقوله: (قُل للمشركين: يا قوم اعملوا على منزلتكم وحالتكم التي أنتم

عليها من الشرك والكفر، وفيه تهديدٌ بالأمر، وداوموا على ما أنتم عليه من الظلم إنّي عاملٌ ومُقيمٌ على ما أنا عليه من الإيمان والدعوة إلى التوحيد)(٥٣)، وعلى مثل هذا التوجيه يمكن أن يتوجّه كلام الرازيّ في هذه الآية فقد أثبت أن (المعنى: اثبتوا على كفركم وعداوتكم فإنّي ثابتٌ على الإسلام، وعلى مضارّتكم)(٥٤).

ب. **الوعيد:** وهو أعلى مراتب التهديد وأشدّها وقعاً على نفوس المهدَّدين من القوم الكافرين، وذلك لأنّه متوجّهٌ من الله تعالى إلى المردة من الكافرين والمتغطرسة من الفاسقين الذين لا يُؤمنون بالعقائد الإسلاميّة، وهذا المعنى يتّضح في فعل الأمر (تَمَتَّعُوا) الوارد في قوله تعالى: ﴿قُلْ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾(٥٥)، والوعيد لّما كان من مراتب التهديد ودرجاته العليا نجد الرازيّ يُصرّح بالتهديد دلالةً لهذا الفعل ويُؤكّدها في تفسيره بقوله: (ولّما حكى الله تعالى عنهم هذه الأنواع الثلاثة من الأعمال القبيحة قال: ﴿تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ والمراد أنّ حال الكافر في الدنيا كيف كانت؛ فإنّها بالنسبة إلى ما سيصل إليه من العقاب في الآخرة تمتّعٌ ونعيمٌ، فلهذا المعنى، قال: ﴿تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ وأيضاً أنّ هذا الخطاب مع الذين حكى الله عنهم أنّهم بدّلوا نعمة الله كفراً، فأولئك كانوا في الدنيا في نعمٍ كثيرةٍ؛ فلا جرم حسُن قوله تعالى: ﴿تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾، وهذا الأمر يُسمّى أمر التهديد)(٥٦)، أما الوعيد الصريح فهو العبارة التي أوردها القرطبيّ في توجيهه لهذه الآية وما فيها من فعل الأمر الذي قال في توجيه دلالته بأنّه (وعيدٌ لهم، وهو إشارةٌ إلى تقليل ما هم فيه من ملاذّ الدنيا إذ هو منقطعٌ)(٥٧).

ومثل (تَمَتَّعُوا) من أفعال الأمر الفعل (تَمَتَّعْ) من حيث الدلالة والتوجيه،

وهذا الفعل قد ورد في سياقٍ مماثلٍ لسياق الفعل (تَمَتَّعُوا) وذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾(٥٨)، ومثلما صرّح الرازيّ هناك بذاك التهديد صرح أيضاً هنا بهذا التهديد فقال: (ولمّا ذكر الله تعالى عنهم هذا الفعل المتناقض هدّدهم فقال: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾ وليس المراد منه الأمر بل الزجر، وأن يُعرّفه قلّة تمتّعه في الدنيا، ثمّ يكون مصيره إلى النار)(٥٩)، وهو المعنى الذي أثبته البلاغيّون أيضاً لهذا الفعل في هذه الآية المباركة، فقد قال الدرويش: (تمتّع: فعل أمر أيضاً... والمقصود بالأمر: التهديد،... وجملة (إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ) تعليلٌ للأمر بالتمتّع)(٦٠)، أمّا الوعيد توجيهاً لهذا الأمر فإنّه أوضح من أن يحتاج إلى التصريح به أو ذكره، بل يُمكن القول إنّ الوعيد هنا أوضح وأصرح وأشدّ من الوعيد في النصّ السابق، وذلك بالموازنة بينهما فالنصّ الأوّل خُتم بقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ وهو تصريحٌ بأنّ هؤلاء سيدخلونها، أمّا هذا النصّ فقد خُتم بقوله: ﴿إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ فالمخاطَب هنا من أصحاب النار فكأنّه في النار الآن، وأنّه فيها الآن فعلاً ليس مستقبلاً كأولئك الذين سيدخلونها لاحقاً، فكأنّه قد ذاق طعم عذابها قبل أوانه، وكفى بهذا الوعيد الذي يحقق المستقبل في الحاضر!

المبحث الثالث

التوجيهات النفسيّة

أوّلاً: الاستهزاء.

من المعاني التي وجّه المفسّرون دلالة فعل الأمر إليها في القرآن الكريم الاستهزاء، وقد وردت أفعال أمر في القرآن لتدلّ على هذا المعنى، ويُمكن تقسيم الاستهزاء أنواعاً على النحو الآتي: (الاستهزاء بالله، الاستهزاء بالرسول، الاستهزاء بالكافر)، وهذه الأنواع من الاستهزاء لمّا كانت تتعامل مع النفس الإنسانيّة وتستثيرها سواءً أكانت الاستثارة صادرة من الله تعالى أو الرسول نحو

الكافرين أو من الكافرين نحو الله تعالى أو رسله؛ فإنّها في كل الأحوال تُوجَّه توجيهات نفسيّة، لأنّها صدرت من النفس أو وجهت نحو النفس، وأنواع هذه الاستثارة النفسيّة بالاستهزاء هي:

أ. **الاستهزاء بالله:** وهذه الدلالة قد كانت لفعل الأمر الذي خاطب به المردةُ من المشركين الرسلَ، ومن هذه الأفعال الفعل (اذْهَبْ) الوارد على لسان أصحاب موسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا﴾[٦١]، فقد صرّح الزمخشريّ بدلالة الاستهزاء لهذا الفعل بقوله: (والظاهر أنّهم قالوا ذلك استهانةً بالله ورسوله وقلّة مبالاةٍ بهما واستهزاءً، وقصدوا ذهابهما حقيقةً بجهلهم وجفاهم وقسوة قلوبهم التي عبدوا بها العجل)[٦٢]، وقد كان من نتيجة هذا الاستهزاء بالله (تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً) أنّ الكفر قد كان واحداً من أصدق المداليل لهذا الفعل الصادر منهم تجاه النبيّ؛ بأمرهم له بالذهاب للقتال مع ربّه استهزاءً منهم به، وقد صرّح المفسّرون بهذا الكفر، فهذا الرازيّ يذكر من وجوه توجيهات دلالات هذا الفعل هذا الوجه بقوله: (لعلّ القوم كانوا مجسّمةً، وكانوا يُجوّزون الذهاب والمجيء على الله تعالى)[٦٣]، ومثل هذا قول الرازي ما قاله القرطبيّ ومثل توجيهه وجّه دلالة الفعل في هذا النصّ القرآنيّ؛ فقد قال: (وصفوه بالذهاب والانتقال، والله متعالٍ عن ذلك، وهذا يدلّ على أنّهم كانوا مشبّهةً)[٦٤].

ب. **الاستهزاء بالرسول:** وهو المعنى الثاني من معاني الاستهزاء الذي وجّه المفسّرون إليه دلالة فعل الأمر، وهذا الفعل هو (ائْتنا) الوارد في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[٦٥]، فهذا الأمر ما صدر منهم تجاه النبيّ إلا لأنّهم كانوا من المستهزئين به، وهذا هو واحدٌ من التوجيهات الدلاليّة لهذا الفعل التي

ذكرها الزمخشريّ في تفسيره لهذه الآية، فممّا قاله فيها: (أنكروا واستبعدوا اختصاص الله وحده بالعبادة... وأن يريدوا به الاستهزاء؛ لأنّهم كانوا يعتقدون أنّ الله تعالى لا يُرسل إلا الملائكة)(٦٦).

ج. **الاستهزاء بالكافر:** وهو النوع الثالث من أنواع الاستهزاء المدلول عليها بفعل الأمر، ولكن هذا النوع من الاستهزاء يقع بالمقابل من النوعين الأوّل والثاني، فهذا الاستهزاء إنّما هو صادرٌ من الله تعالى تجاه الكافر الطاغي، وهذا هو الفعل (ذُقْ) الوارد في قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾(٦٧)، وهذه الآية نزلت في أبي جهلٍ، فقد (قال قتادة: نزلت في أبي جهلٍ، وكان قد قال: ما فيها أعزّ منّي ولا أكرم، فلذلك قيل له ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾... أي: يقول له المَلَك: ذق إنّك أنت العزيز الكريم بزعمك، وقيل: هو على معنى الاستخفاف والتوبيخ والاستهزاء والإهانة والتنقيص، أي: قال له: إنك أنت الذليل المهان)(٦٨)، وهذا التوجيه لدلالة هذا الفعل إنّما هو التوجيه الوجيه عند المفسّرين؛ وهو الأوّل والمقدَّم عندهم بدلالة سبب النزول، وبدلالة حال هذا الكافر (أبي جهلٍ) الذي كان متكبّراً متجبّراً، لذلك خوطب بهذا الفعل (على سبيل الهزء والتهكم بمن كان يتعزّز ويتكرّم على قومه)(٦٩) على ما ذكره الزمخشريّ وأيّده الرازيّ الذي ذكر (أنّه يُخاطَب بذلك على سبيل الاستهزاء، والمراد أنّك أنت بالضدّ منه)(٧٠)، وإنّما خوطب هذا الكافر بهذا الفعل على فنّ التهكّم الذي هو (عبارةٌ عن الإتيان بلفظ البشارة في موضع النذارة، والوعد في مكان الوعيد تهاوناً من القائل بالمقول له، واستهزاءً به... كقوله تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾(٧١) وهو أغيظ للمستهزأ به وأشدّ إيلاماً له)(٧٢)، وواضحٌ من هذا أنّ التوجيه لدلالة هذا الفعل هنا إنّما هو توجيه نفسيٌّ.

ثانياً: التحدّي.

وهو من المعاني النفسيّة للأمر، وقد أورده القرآن الكريم مستعملاً له فعل الأمر، ويبدو أنّ فعل الأمر قد كان خير دالٍّ على هذا المعنى لما فيه من الإيحاء بالتحدّي وإرادة التعجيز للمخاطَب، ومن الملاحظ على هذه الدلالة أنّها غالباً ما ترد من الباري جلّ وعلا يُخاطب بها العاصين والمتمرّدين من عتاة الكفرة وطغاتهم، ويُمكن أن يُقسَم هذا النوع من المعاني أقساماً على النحو الآتي:

أ. **تحدّي الله للكافرين:** وهو المعنى الذي نقرأه من فعل الأمر عندما يكون الأمر الوارد به قد صدر من الله جلّ وعلا وهو سبحانه يعلم أنّهم لا يقدرون على الإتيان به إنّما أمرهم به تحدّياً لهم لإظهار عجزهم عنه، ومن أمثلة هذا النوع من الأفعال ما ورد في قوله تعالى: ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ﴾[٧٣]، فالفعلان (ائْتُوا) و(ادْعُوا) إنّما أمر الله تعالى بهما الكافرين ليُثبت لهم أنّهم على خطأٍ عندما رفضوا نسبة القرآن إلى الله تعالى، وهذا المعنى هو الذي ذكره الزمخشريّ الذي قال: (ألا ترى أنّ المعنى: وإن ارتبتم في أنّ القرآن منزَّل من عند الله فهاتوا أنتم نبذاً ممّا يُماثله ويُجانسه، وقضية الترتيب لو كان الضمير مردوداً إلى رسول الله ﷺ أن يُقال: وإن ارتبتم في أنّ محمّداً منزّل عليه، فهاتوا قرآناً من مثله، ولأنّهم إذا خوطبوا جميعاً وهم الجمّ الغفير بأن يأتوا بطائفة يسيرة من جنس ما أوتي به واحدٌ منهم، كان أبلغ في التحدّي من أن يُقال لهم: ليأت واحدٌ آخر بنحو ما أوتي به هذا الواحد)[٧٤]، وهذا التوجيه لهذا الفعل في القرآن الكريم (يدلّ على أنّ القرآن وما هو عليه من كونه سوراً هو على حدّ ما أنزله الله تعالى بخلاف قول كثيرٍ من أهل الحديث إنّه نُظم على هذا الترتيب في أيّام عثمان، فلذلك صحّ التحدّي مرّةً بسورةٍ ومرّةً بكلّ القرآن... قوله (فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ) ونظير هذا كمن يتحدّى صاحبه

بتصنيف، فيقول: ائتني بمثله، ائتني بنصفه، ائتني بربعه، ائتني بمسألةٍ منه، فإنّ هذا هو النهاية في التحدّي وإزالة العذر)[٧٥]، وبهذا التحدّي يحصل التعجيز لأنّهم ما استطاعوا الردّ عليه وما استجابوا لهذا الطلب وهم في أشدّ الحاجة إلى أن يأتوا ولو بسورةٍ من مثله، وهذا التحدّي الذي يصل إلى مرحلة التعجيز إنّما كان مدلولاً لفعل الأمر، وعلى ما وجّهه إليه المفسّرون، فـ(هو أمرٌ معناه التعجيز، لأنّه تعالى علم عجزهم عنه)[٧٦]، وهذا التحدّي الموصل إلى التعجيز قد أورث خيبة الأمل في نفوس هؤلاء المنكرين للقرآن لا في عقولهم، لأنّ الكافرين قد أيقنوا أنّه ليس من كلام البشر، وأنّهم غير قادرين على الإتيان بمثله، لذلك أراد القرآن أن يُقنعهم نفسيّاً، وذلك بأن يُورث في نفوسهم القناعة بالعجز عن الإتيان بمثل هذا القرآن، ولذلك أوردنا هذا المثال في هذا الحقل من التوجيهات لأنّه أقرب إليها.

ومن أعلى مراتب التحدّي وأشدّها وقعاً في نفوس الكافرين، فعل الأمر الموجّه للكافرين المنكرين للرسالة والرافضين لها والمدّعين خلافها، وهذا ما نجده في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٧٧]، ففعل الأمر هنا هو (أَرُونِي) الذي يُفسّره القرطبيّ بقوله: (يكون (أَرُونِي) هنا من رؤية القلب، فيكون (شُرَكَاء) المفعول الثالث، أي: عرّفوني الأصنام والأوثان التي جعلتموها شركاء لله عزّ وجلّ، وهل شاركت في خلق شيء؟ فبيّنوا ما هو؟ وإلا فلم تعبدونها؟ ويجوز أن يكون من رؤية البصر، فيكون (شُرَكَاء) حالاً)[٧٨]، وعلى كلا التوجهين لمعنى الفعل (أروني) يكون القصد به والغاية منه هي التحدّي للكافرين وتعجيزهم لتستيقن نفوسهم الأمر وتعلم الحقّ وتنتهي عن العناد واللجاج، فالمطلوب هنا هو الإتيان بالشركاء الذين جعلوهم مع الله آلهةً، وهذا المطلوب هو الحقيقة لا الادّعاء،

أي أنّ الله تعالى أراد منهم أن يأتوه بالشركاء الحقيقيّين الذين يشتركون مع الله تعالى في الربوبيّة لا الشركاء المزعومين الذين ليس لهم وجودٌ إلا في نفوس هؤلاء الكافرين الضالّة، ولمّا كان هذا الادّعاء منهم شنيعاً إلى درجةٍ عاليةٍ صار التحدّي به من أعلى درجات التحدّي التي تصل إلى مرتبة التعجيز، بل قد تجاوزتها إلى مراتب أعلى في كلمات المفسّرين، فهذا الطبرسيّ يُفسّر هذا الفعل؛ ويرى أنّ (معناه التعظيم والتعجيب والتوبيخ)(٧٩)، ولا نرى هذه المعاني إلا من أعظم المعاني وأعجبها لما فيها من التحدّي والتعجيز الذي وصل إلى مرتبة التوبيخ.

ب. **تحدّي الرسل للكافرين:** وهو من المعاني التي تصبّ في مجرى تحدّي الله سبحانه وتعالى للكافرين، فالرسول إنّما يأتمر بأمر الله وهو الممثّل الشرعيّ له في الأرض وهو خليفته عليها وعلى العباد، ومن أدقّ الأمثلة على هذا النوع من الدلالة تحدّي موسى عليه السلام للسحرة الوارد في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ﴾(٨٠)، فالطبرسيّ: يعتقد أنّ فعل الأمر (أَلْقُوا) جاء (بصورة الأمر، والمراد به التحدّي)(٨١)، وهذا التحدّي إنّما صدر من النبيّ وصحّ منه لأنّه يعلم أنّ الله تعالى سينصره عليهم ويُظهر حجّته، ويدحض افتراءاتهم، والقصد منه تحريك نفوسهم للإيمان بما ستراه عقولهم وتُوقن به أنفسهم.

ثالثاً: التعجّب.

وهو من المعاني التي جاء فعل الأمر دالاً عليها عرضاً لا أصالة، وقد ورد فعل الأمر دالاً على التعجّب وله مثال مشهور في القرآن الكريم، ولكنّ كلمات المفسّرين كانت تُوجّهه توجيهات مختلفةً، وقد كانت هذه التوجيهات توجيهاتٍ نفسيّةً لأنّ التعجّب إنّما يكونُ في النفس أوضح منه في العقل؛ لأنّ التعجب إنّما هو أمرٌ غير مألوفٍ يستفهم عنه العقل فلا يجد له جواباً؛ فينتقل

تأثير هذا الأمر المجهول من العقل إلى النفس التي ستتعجّب منه وتندهش، لأنّ النفس هي موضع الانفعالات التي منها هذا التعجّب، وقد كان من أبرز دلالات التعجّب المدلول عليه بفعل الأمر في القرآن الكريم هو التعجيب، وهو التوجيه الذي حدا بي إلى تصنيف هذا التوجيه في حقل التوجيهات النفسيّة، و(التعجيب) هو المعنى الذي توجّه إليه قوله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾(٨٢)، فإنّ (العرب تقول هذا في موضع التعجّب... فمعناه: أنه عجّب نبيّه منهم، قال الكلبيّ: لا أحد أسمع منهم يوم القيامة ولا أبصر؛ حين يقول الله تبارك وتعالى لعيسى: ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾(٨٣))(٨٤)، وهذا ما أيّده أهل البلاغة، فقد قال الدرويش: (أسمع: فعلٌ ماضٍ أتى على صيغة الأمر... والتعجّب هنا معروفٌ إلى المخاطَبين)(٨٥)، ولكنّ هذا التعجّب ليس كمثل التعجّب الذي يصدر من البشر، فهذا النصّ من القرآن، وهذا المتكلّم هنا هو الله تعالى، وقد عبّر عن حال هؤلاء بالأمر لنبيّه بالتعجّب منهم، فهو سبحانه لا يتعجّب منهم، وهذا هو المعنى الذي أيّده الزمخشري بقوله: (لا يُوصَف الله تعالى بالتعجّب، وإنّما المراد أنّ أسماعهم وأبصارهم يومئذٍ جديرةٌ بأن يُتعجَّب منهما بعد ما كانوا صمّاً وعمياً في الدنيا، وقيل: معناه: التهديد بما يسوؤهم ويصدع قلوبهم)(٨٦)، والتهديد أيضاً من الدلالات التي يُتعجَّب منها هنا، لأنّ الدلالة عليها إنّما جاءت بغير ما وُضع لها من المألوف في الكلام العربيّ، والتهديد (مع الزجر) قد أورده الرازيّ دلالة لهذا الأمر في تفسيره لهذا النصّ، فقد ذكر أن التعجّب هو استعظام الشيء مع الجهل بسبب عظمه، ثمّ يجوز استعمال لفظ التعجّب عند مجرّد الاستعظام من غير خفاء السبب، أو من غير أن يكون للعظم سبب حصول، و﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾(٨٧) معناه: ما أسمعهم وما أبصرهم، والتعجّب على الله محالٌ كما تقدّم، وإنّما المراد أنّ أسماعهم

وأبصارهم يومئذٍ جديرٌ بأنّ يُتعجَّب منها بعد ما كانوا صمّاً وعمياً في الدنيا، وقيل: معناه التهديد ممّا سيسمعون وسيُبصرون ممّا يسوء بصرهم ويصدع قلوبهم، ويحتمل أن يكون المراد: أسمع هؤلاء وأبصرهم، أي: عرّفهم حال القوم الذين يأتوننا ليعتبروا وينزجروا، ويجوز: وأسمع الناسَ وأبصرهم ليعرفوا أمرهم وسوء عاقبتهم فينزجروا عن الإتيان بمثل فعلهم(٨٨).

الخاتمة:

الحمد لله أن وفقني إلى أن حاولت فهم شيءٍ من آيات قرآني، وأدليت في بحور تفسيره دلوي، فأخرجت دلوي فوجدت فيه خلاصة بحثي التي أوجزها في ما يأتي:

من أهمّ المسائل التي وقف عليها هذا البحث: التمييز بين: المعنى، والدلالة، والتوجيه، لما كان المعنى واضحاً ومفهوماً عند أغلب الدارسين، وكانت الدلالة محطّ عناية الباحثين، وجدت أنّ التوجيه كان غائباً عن ميدان الدراسة والبحث، والتوجيه هو الأمر المهم لأنّه الفلك الأكبر الذي يدور فيه المعنى بفعل الدلالة، وهو المقصود الذي جيء بهذا اللفظ بهذه الدلالة من أجله، وهو الذي يجتهد المفسر للنصّ في الوصول إليه والتعرف عليه وبه يتفاوت المفسرون ويتفاضلون في القدرة على الكشف عنه.

وبالربط بين آراء المفسرين التي كشفت لنا عن المعاني والدلالات التي أشاروا إليها في فعل الأمر، وبالوقوف عند وجهات النظر التي رأى منها المفسرون دلالة الأمر، وكيف عبّر كل منهم عن الفكرة الدلاليّة التي استنبطها، ودلالة الأمر وتوجيه المفسر لها وجدت أنّ فعل الأمر قد ورد في القرآن الكريم في مواضع كثيرة، وقد وجّه المفسّرون دلالة هذا الفعل توجيهات كثيرةٍ ومتنوّعةٍ، وبالتدقيق في هذه التوجيهات وجدتها تقع في ثلاثة مسارات رئيسةٍ يتفرّع عن كلّ مسارٍ منها فروع، على النحو الآتي:

التوجيهات الشرعيّة: الإباحة، والاستحباب، والأمر.

التوجيهات العقليّة: الاستدلال، والتسوية، والتهديد.

التوجيهات النفسيّة: الاستهزاء، والتحدّي، والتعجّب.

هوامش البحث

(١) ينظر: الصناعتين في الكتابة والشعر/ العسكريّ: ٢.

(٢) ينظر: أدب الكاتب: ٤.

(٣) الطراز: ٢٨١/٣.

(٤) ينظر: الصاحبيّ: ٣٠٢، والإيضاح في علوم البلاغة:١٣٧-١٣٩، وجواهر البلاغة: ٥١-٥٢، و أساليب الطلب عند النحويّين والبلاغيّين/ د. قيس إسماعيل الأوسيّ: ٩٨.

(٥) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٢٣٨/٤، والإتقان في علوم القرآن: ٨١/٢.

(٦) البقرة: ١٨٧.

(٧) الميزان: ٤٦/٢.

(٨) الجامع لأحكام القرآن: ٢١٠/٢.

(٩) ينظر: التفسير الكبير: ٩١/٥.

(١٠) البقرة: ١٧٨.

(١١) الكشاف:٢١٠/١.

(١٢) التفسير الكبير: ٩٣/٥.

(١٣) المائدة: ٢.

(١٤) الكشاف: ٥/٢، وينظر: إعراب القرآن وبيانه: ١٧٥/٢.

(١٥) المائدة: ١.

(١٦) التفسير الكبير: ١٠٣/١١.

(١٧) طه: ٨١.

(١٨) الميزان: ٢٠٢/١٤.

(١٩) التفسير الكبير: ٨٣/٢٢.

(٢٠) الجامع لأحكام القرآن: ١٦٠/١١.

(٢١) البقرة: ٢٨٢.
(٢٢) مجمع البيان: ٣٩٩/٢.
(٢٣) المزمل: ٢٠.
(٢٤) الميزان: ١٥٥/٢٠.
(٢٥) البقرة: ٢٤٤.
(٢٦) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٦٠/٣.
(٢٧) ينظر: التفسير الكبير: ١٤٠/٦-١٤١.
(٢٨) إعراب القرآن وبيانه: ٣١٦/١.
(٢٩) البقرة: ٣١.
(٣٠) مجمع البيان: ٧٧/١.
(٣١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن : ٢٠١/١.
(٣٢) التفسير الكبير: ١٦٢/٦.
(٣٣) إعراب القرآن وبيانه: ٨٧/١.
(٣٤) الأنعام: ٩٩.
(٣٥) التفسير الكبير: ٩١/١٣.
(٣٦) الكشاف: ١١٤/٢.
(٣٧) الجامع لأحكام القرآن: ٧٥/٧.
(٣٨) ينظر: جمالية الخبر والإنشاء: ١١٣.
(٣٩) الروم: ٤٢.
(٤٠) الجامع لأحكام القرآن: ٣١/١٤.
(٤١) مجمع البيان: ٣٠٧/٨.
(٤٢) الطور: ١٦.
(٤٣) التفسير الكبير: ٢١٢/٢٨.
(٤٤) الكشاف: ٢٩٠/٤.
(٤٥) إبراهيم: ٢١.
(٤٦) الجامع لأحكام القرآن: ٤٦/١٧.
(٤٧) التوبة: ٨٠.
(٤٨) مجمع البيان: ٥٥/٥.
(٤٩) ينظر: التفسير الكبير: ١١٧/١٦.
(٥٠) الأنعام: ١٣٥.
(٥١) مجمع البيان: ٣٦٩/٤.

(٥٢) الجامع لأحكام القرآن: ٧/١٠٠-١٠١.

(٥٣) الميزان: ٣٧٨/٧.

(٥٤) التفسير الكبير: ١٣/١٦٦-١٦٧.

(٥٥) إبراهيم: ٣٠.

(٥٦) التفسير الكبير: ٩٨/١٩.

(٥٧) الجامع لأحكام القرآن: ٢٤٥/٩.

(٥٨) الزمر: ٨.

(٥٩) التفسير الكبير: ٢١٨/٢٦.

(٦٠) إعراب القرآن وبيانه: ٤٩٥/٦.

(٦١) المائدة: ٢٤.

(٦٢) الكشاف: ١٩/٢، وينظر: أعراب القرآن وبيانه: ٢/٢٠٦-٢٠٧.

(٦٣) التفسير الكبير: ١٥٨/١١.

(٦٤) الجامع لأحكام القرآن: ٧٠/٦.

(٦٥) الأعراف: ٧٠.

(٦٦) الكشاف: ١٦٦/٢.

(٦٧) الدخان: ٤٩.

(٦٨) الجامع لأحكام القرآن: ٩٩/١٦.

(٦٩) الكشاف: ١٨٣/٤.

(٧٠) التفسير الكبير: ٢٧/٢١٥-٢١٦.

(٧١) النساء: ١٣٨.

(٧٢) إعراب القرآن وبيانه: ١٣١/٧.

(٧٣) البقرة: ٢٣.

(٧٤) الكتاب: ٩٤/١.

(٧٥) التفسير الكبير: ٢/١٠٨-١٠٩.

(٧٦) الجامع لأحكام القرآن: ١٦٧/١.

(٧٧) سبأ: ٢٧.

(٧٨) الجامع لأحكام القرآن: ١٩٤/١٤.

(٧٩) مجمع البيان: ٣٩٠/٨.

(٨٠) الشعراء: ٤٣.

(٨١) مجمع البيان: ١٨٩/٧.

(٨٢) مريم: ٣٨.

(٨٣) المائدة: ١١٦.
(٨٤) الجامع لأحكام القرآن: ٧٨/١١.
(٨٥) إعراب القرآن وبيانه: ٦٠٥/٤ - ٦٠٦.
(٨٦) الكشاف: ١٠٤/٣ - ١٠٥.
(٨٧) مريم: ٣٨.
(٨٨) ينظر: التفسير الكبير: ١٨٨/٢١ - ١٨٩.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- التفسير الكبير. الرازي (ت٦٠٦هـ). دار الكتب العلمية. بيروت. الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
- أثر القرآن في تطور النقد العربي حتى نهاية القرن الخامس الهجري. د. محمد زغلول سلام. دار المعارف. مصر. ط٣ ١٩٦٨.
- أدب الكاتب. ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ). تح: محمد محي الدين عبد الحميد. مطبعة السعادة. مصر. ط٣ ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م.
- الإتقان في علوم القرآن. السيوطي (ت٩١١هـ). صححه: محمد سالم هاشم. دار الكتب العلمية. بيروت.
- إعراب القرآن وبيانه. محيي الدين الدرويش. دار ابن كثير. دمشق. ط٧ ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
- الإيضاح في علوم البلاغة. القزويني (ت٧٢٩هـ). تح: د. عبد الحميد الهنداوي. مؤسسة المختار. ط٢. القاهرة ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
- أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين. د. قيس إسماعيل الأوسي. بيت الحكمة. بغداد.
- البرهان في علوم القرآن. الزركشي (ت٧٩٤هـ). تح: مصطفى عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية. بيروت. ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- البرهان في وجوه البيان. ابن وهب.
- البلاغة العربية: المعاني والبيان والبديع. د. أحمد مطلوب. دار الكتب. بغداد. ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

- البلاغة عند السكاكي. د. أحمد مطلوب. مكتبة النهضة. بغداد. ط١ ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.
- الجامع لأحكام القرآن. القرطبي(ت٦٧١هـ). تح : الشيخ هشام سمير البخاري. دار إحياء التراث العربي. بيروت ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن. الطبري (ت٣١٠هـ). تح: محمود محمد شاكر. دار المعارف. مصر.
- جواهر البلاغة. أحمد الهاشمي. دار إحياء التراث العربي. بيروت.
- دلائل الإعجاز في علم المعاني. الجرجاني (٤٧١هـ). تعليق: السيد محمد رشيد رضا. دار المعرفة. بيروت. ط٢ ١٣٣١هـ.
- شرح المفصل. ابن يعيش (ت٦٤٣هـ). المطبعة الخيرية. مصر.
- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها. ابن فارس (٣٩٥هـ). تح: مصطفى الشويمي. مؤسسة بدران. بيروت.
- الصناعتين: الكتابة والشعر. أبو هلال العسكري. تح: محمد علي البيجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم. دار إحياء الكتب العربية. مطبعة عيسى البابي الحلبي. ط١ ١٣٧١هـ/١٩٥٢.
- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز. العلوي (٧٤٩هـ). دار الكتب العلمية. بيروت. ط١ ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
- الكتاب. سيبويه (ت١٨٠هـ). تح: عبد السلام محمد هارون. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ط٢ ١٩٧٩م.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. الزمخشري. (ت٥٣٨هـ). تح: محمد عبد السلام شاهين. دار الكتب العلمية. بيروت. ط١ ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
- لسان العرب. ابن منظور (ت٧١١هـ). دار صادر. بيروت. ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م.
- مجاز القرآن. أبو عبيدة (ت٢١٠هـ). تح: محمد فؤاد سزكين. مطبعة الخانجي. مصر. ط١ ١٣٧٤هـ/١٩٥٤.
- مجمع البيان في تفسير القرآن. الطبرسي (ت٥٤٨هـ). تح: هاشم الرسولي المحلاتي. دار إحياء التراث العربي. بيروت. ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م.
- معاني القرآن. الفراء (ت٢٠٧هـ). تح: أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار. دار الكتب المصرية. القاهرة. ط١ ١٩٥٥م.

- المعاني في ضوء أساليب القرآن. د. عبد الفتاح لاشين. دار المعارف. مصر. ط٣ ١٩٧٨م.
- مفتاح العلوم. السكاكي (ت٦٢٦هـ). مطبعة مصطفى البابي الحلبي. مصر. ط١ ١٣٥٦هـ/١٩٣٧.
- المقتضب. المبرد (٢٨٥هـ). تح: محمد عبد الخالق عضيمة. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. القاهرة. ١٣٨٦هـ/١٩٦٧.
- الميزان في تفسير القرآن. الطباطبائي (ت١٩٨٠م). دار الكتب الإسلامية. طهران. ط٢ ١٣٨٩هـ.
- نهاية الإيجاز في دراية الإيجاز. الرازي (ت٦٠٦هـ). تح: د. إبراهيم السامرائي، ومحمد بركات مهدي أبو علي. دار الفكر. عمان. ١٩٨٥م.